غوغول في الذكرى المئوية الثانية لميلاده

سبع نقاط من دفاتر الأدب الروسي

أ.د. ضياء نافع ■

١-٢

أولا:
من الذي خرج من معطف غوغول؟

هناك مقولة مشهورة جدا ينسبونها إلى دستويفسكي تقول: كلنا خرجنا من معطف غوغول، فهل الأمر هكذا فعلا؟ لقد جاء دستويفسكي إلى الأدب بعد غوغول طبعا، وأصبح أعظم روائي مسيحي في دنيا الأدب العالمي، مثل دافنشي وروفائيل في الفن التشكيلي المسيحي. دستويفسكي فيلسوف حاول ان يجسد فلسفته في رواياته مؤكدا ان الكنيسة الأرثذوكسية الروسية يمكن ان تنقذ العالم، وان موسكو هي روما الثالثة في تاريخ العالم. غوغول يختلف عن دستويفسكي إذ انه لم يكن فيلسوفاً، رغم انه حاول ان يطرح نفسه هكذا في كتابه الأخير الموسوم (مقاطع مختارة من المراسلات مع الأصدقاء)، حيث أشار هناك إلى ان الكنيسة الأرثذوكسية الروسية تمثل روح الإخوة بين الشعوب السلافية كافة، وان هذه الفكرة تجعل روسيا مسؤولة عن مبدأ الإخوة عالمياً. لقد ذكر الفيلسوف الروسي الكبير بيردايف..

ان غوغول هو بداية تلك السمة في الأدب الروسي، والتي تكمن في البحث المعمق عن المفهوم الديني – الأخلاقي، الذي يؤدي في نهاية المطاف الى ربط الابداع الفني بالبحث عن التكامل الأخلاقي في الحياة الإنسانية برمتها، أي تحويل الإبداع الفني إلى محاولة لإصلاح الحياة الإنسانية والانتقال بها إلى مرحلة التكامل الأخلاقي المطلق، وهي صفة امتاز بها كل الأدباء الروس الكبار، أي ان غوغول في كتابه المذكور قد أكد دور الكنيسة الأرثذوكسية الروسية في العالم، وهو طرح فلسفي بشأن هذه الكنيسة، أو ربما يمكن القول انه أول طرح من مفكر روسي بشأن هذا الموضوع، أما دستويفسكي فقد طرح هذا الموضوع نفسه عبر نتاجاته الأدبية العملاقة، أي ان دستويفسكي طرح هذا الموضوع الفلسفي عبر نتاجه الأدبي، ولم يفعل غوغول ذلك، غير انه أشار إليه ليس إلا في كتابه الأخير، وهذه مسألة مهمة وكبيرة حول الاختلاف الجذري بين غوغول ودستويفسكي. ونعود إلى تلك المقولة عن معطف غوغول وعلاقة دستويفسكي بها. لقد نشر دستويفسكي أول نتاج حقيقي له وهو روايته القصيرة (المساكين)، والتي كانت تعتمد على أسلوب المراسلات بين عاشقين لا يستطيعان تحقيق حلمهما بالعيش معاً، ويعترف البطل في النهاية بعجزه عن إنقاذ حبيبته. إنها معاناة الرجل المسحوق في المجتمع الإنساني، أو (الإنسان الصغير) كما أطلق عليه النقد الأدبي السوفيتي، والذي أصبح بالنسبة لهذا النقد موضوعا رئيسياً وأساسياً. ويمكن التحدث هنا عن التناغم بين (معطف) غوغول الذي يصور فيه معاناة ذلك الإنسان المسحوق وحلمه الذي يكمن في امتلاكه معطفا ليس إلا، ومعاناة بطل دستويفسكي في (المساكين)، رغم التباين الجذري بين خيال غوغول ومبالغته وغرائبيته، الذي يجعل بطله يظهر كشبح في نهاية ذلك النتاج، وبين بطل دستويفسكي العاشق البائس ليس إلا، ولكن دستويفسكي انتمى فيما بعد إلى حركة اشتراكية طوباوية ترتبط بأفكار سان سيمون الفرنسي ثم صدر حكم بإعدامه ثم تم العفو عنه من قبل القيصر الروسي في سيبيريا في اخر لحظة قبل تنفيذ حكم الاعدام هذا، وهناك في سنوات المنفى الرهيبة والقاسية تحول دستويفسكي تدريجياً إلى المسيحية الأرثذوكسية، وعاد إلى بطرسبورغ، وكتب على مدى سنين طويلة أعظم رواياته الفلسفية مثل الجريمة والعقاب والإخوة كارامازوف وغيرها ولا علاقة لتلك الروايات بعالم غوغول الإبداعي وخصائصه.

لقد سبق لي ان نشرت في مجلة (ألف باء) العراقية قبل عشر سنوات ونيف مقالة صغيرة مركزة عن تلك المقولة، وتحدثت فيها عن محاضرة ألقاها بروفيسور سوفيتي متخصص بالأدب الروسي في المكتبة السلافية بباريس نهاية ستينيات القرن العشرين، والتي أشار فيها إلى ذلك القول الشائع، وكيف انه قرأ كل نتاجات دستويفسكي ورسائله ومقالاته ومقالات معاصريه حوله ولم يجد إشارة إلى تلك المقولة، وكيف انه وصل إلى ان باحثاً فرنسياً كتب عن الأدب الروسي في بداية القرن العشرين أشار إلى ان دستويفسكي كان يمكن ان يقول هكذا، ولا أريد ان اكرر ما نشرته سابقاً، إلا إني أود ان اذكر هنا ما سمعته من القناة الأولى في التلفزيون الروسي أثناء الاحتفالات بالذكرى المئوية الثانية لميلاد غوغول في نيسان ٢٠٠٩، وهو ان هذه المقولة تنسب إلى دستويفسكي أو تورغينيف، وهو رأي جديد في تاريخ الأدب الروسي بشكل عام. والخلاصة فان جملة (كلنا خرجنا من معطف غوغول) هي مقولة جميلة لا توجد إشارة إليها بتاتا في نتاجات دستويفسكي الكاملة ولا في مقالاته وخطبه ورسالاته وتصريحاته، وان نسبتها إلى دستويفسكي أو تورغينيف هو شيء شائع ليس إلا، ولا يستند إلى أسس علمية دقيقة.

ثانيا:

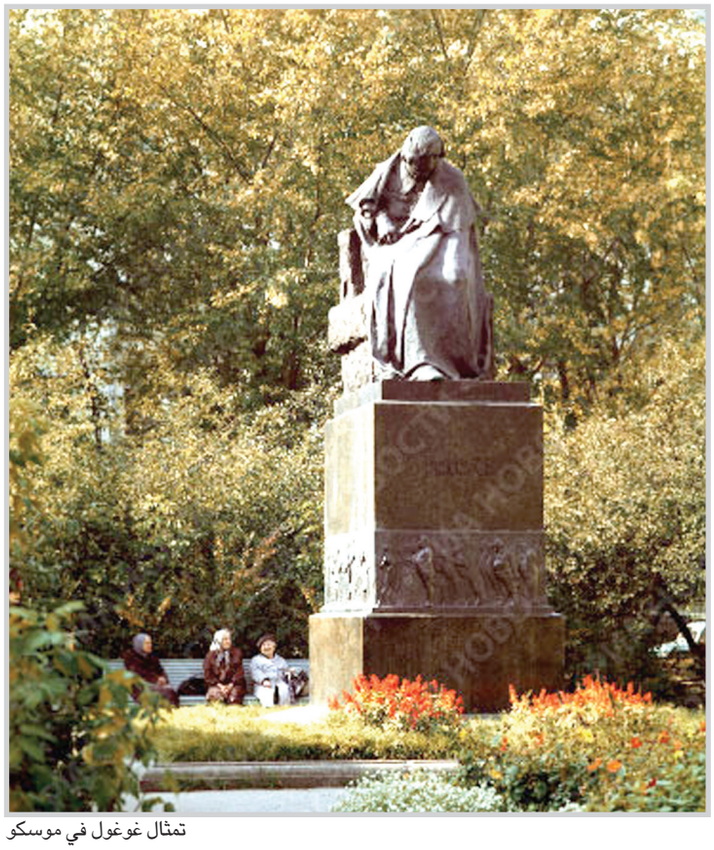

تمثال غوغول في موسكو

حول موت غوغول. هل دفنوه حيا؟

هناك أقاويل كثيرة حول موت غوغول، وانه تم دفنه حيا، وانه استيقظ في قبره وحاول الخروج ثم اختنق هناك ..... الخ، وما زالت هذه الأقاويل شائعة لحد الآن، ولم أجد في المصادر العربية عن غوغول إشارة جادة إلى هذا الموضوع المثير، رغم ان الباحثين العرب الآن قد كتبوا عن ذلك بشكل وجيز (جريدة الحياة اللندنية وموقع إيلاف الالكتروني مثلا)، وأود ان أتحدث عن ذلك هنا.

رأى والد غوغول مرة مناما حول فتاة ما، وحكى هذا المنام للآخرين، فأخبروه انه سيتزوج من فتاة ولدت في ذلك اليوم بالذات وعرف ان هناك فتاة ولدت في ذلك اليوم فعلا. انتظرها إلى ان أصبح عمرها (١٤) سنة، وأصر على ان يتزوجها، وتزوجها فعلا. كل أطفالها كانوا يموتون رأساً. فتوجهت الزوجة إلى القديس نيكولاي وطلبت منه ان يمنحها طفلا ونذرت ان تسميه باسمه، وهكذا ولد نيكولاي غوغول وعاش. مات والده مبكرا، أما والدته فقد كرست نفسها له. لقد كانت متدينة بشكل متطرف، وكانت تحكي له حكايات وأساطير دينية، وقد أثرت تلك الحكايات على حياته وإبداعه طول حياته. تميز غوغول منذ طفولته بصفات ذاتية متفردة، وأشار إلى ذلك حتى زملاؤه في المدرسة. ولقد اتهمه بعض معارفه بالجنون، وانه مصاب بمرض ازدواجية الشخصية (الشيزفرينيا) ولكن الأطباء الذين عالجوه لا يؤيدون ذلك، وقد وصل الأمر إلى ان احد الأطباء الروس درس وحلل ٤٣٩ وثيقة طبية تناولت أمراض غوغول وعلاجه، والتي كتبها أطباء مختلفون عالجوه، وأكد هذا الطبيب بعدم وجود مرض الشيزفرينيا عند غوغول، ولكنه أشار إلى ان غوغول كان يعاني مرض الكآبة، والذي انعكس بوجود مزاج فرح غير اعتيادي لديه بعض الأحيان وكذلك مزاج حزن غير اعتيادي في أحيان أخرى. لقد عرض غوغول نفسه على أطباء كثيرين في روسيا وخارجها، وعالج هؤلاء الأطباء غوغول من مختلف الأمراض، مثل أمراض المعدة والأعصاب، ولكن هذه العلاجات لم تصل إلى نتائج ملموسة. وتحدث الطبيب هذا عن إصابة غوغول بمرض الغيبوبة أو السبات أثناء النوم، مؤكدا ان مصدر كل تلك الإشاعات عن دفنه حيا يرتبط بذلك. ومن المعروف ان غوغل كان يخشى ذلك أثناء حياته، لهذا فأنه لم يرقد في سريره أكثر من عشر سنوات، بل كان يغفو في الليالي وهو جالس أو نصف راقد على كرسيه، وقد كتب غوغول جملة في كتابه الأخير (مقاطع مختارة من المراسلات مع الأصدقاء) ذكر فيها إلى انه يوصي (بعدم إجراء مراسيم دفن جسده إلى ان تبدو عليه بوضوح علامات التفسخ).

لقد توفي غوغول بتاريخ ١٨٥٢/٢/٢١ وتم دفنه بتاريخ ١٨٥٢/٢/٢٤ حسب التقاليد الروسية الأرثذوكسية، إذ أنهم يدفنون الميت بعد ثلاثة أيام من وفاته، حيث يضعونه في تابوت ويضعونه في بيته وهو يرتدي أحسن ملابسه، ويأتي إليه الأقارب والأصدقاء لتوديعه، ومن ثم وفي اليوم الثالث يدفنونه، وبما انه لم يكن لدى غوغول بيت أو عائلة، فقد وضعوا تابوته في كنيسة جامعة موسكو، ومن ثم تم دفنه في مقبرة دانيليفسكايا، حيث توجد في تلك المقبرة التابعة لكنيسة قديمة قبور روس مشهورين. لقد حملوا نعشه بالأيدي وساروا به إلى تلك المقبرة في ذلك الشتاء الروسي القاسي البرودة، حيث كانت شوارع موسكو مغطاة بالثلوج في شهر شباط (فبراير) من عام ١٨٥٢. وكلفوا النحات الروسي رمدانوف بعمل قناع له. تردد النحات في البداية لأنه كان يعرف وصية غوغول، إلا انه نفذ عمل القناع، وهذا يعني عزل الوجه عن الأوكسجين كلياً وتكفي دقائق قليلة للموت، وهذا يثبت بالطبع ان غوغول قد مات فعلاً، لأن النحات عمل القناع كما يجب وما زال هذا القناع موجوداً لحد الآن. وعندما قررت الحكومة السوفيتية إلغاء تلك المقبرة، فأنها نقلت بعض الجثامين منها، وأعادت دفنها، ومنها جثمان غوغول، وهكذا تم في ١٩٣٧/٣/٣١ نقل جثمانه من مقبرة دانيليفسكايا إلى مقبرة العظماء، وعندها ظهرت تلك الأقاويل عن دفنه حياً وإنهم وجدوا ان جسده قد تحرك، وان التابوت كان مخرمشاً من الداخل، وانه قد مات في قبره لعدم كفاية الأوكسجين ولعدم استطاعته الخروج من القبر..... الخ.

غوغول

عندما فتحوا قبر غوغول عام ١٩٣٧، كانت هناك مجموعة من الأدباء والفنانين، وكل واحد منهم –فيما بعد– قال شيئاً مختلفاً وكلهم حاولوا ان يأخذوا شيئاً ما من قبره، اخذ أحدهم قطعة من ملابسه، وآخر قطعة من حذائه..... الخ، وهناك حكاية تقول ان أحدهم أصر على فتح قبره ثانية كي يعيد ذلك الجزء الذي أخذه من حذائه، وذلك لأن غوغول كان يظهر في منامه ويطالبه بذلك، ويقال انه ذهب إلى المقبرة وحفر قرب القبر وأعاد دفن ذلك الجزء من الحذاء، وهكذا تخلص من ذلك الكابوس المرعب. ومن المهم الإشارة هنا، إلى ان الذين حضروا تلك العملية وجدوا ان جمجمة غوغول قد اختفت، ويقال ان احد الاغنياء الروس قد أخذها عام ١٩٠٩، في الذكرى المئوية الأولى لموته، عندما جرى ترميم قبره وتنظيفه، وان هذا المليونير كان مولعاً بجمع غرائب الأشياء قد ضم جمجمة غوغول إلى مجموعته، وان لينين قد أمر –بعد ثورة أكتوبر ١٩١٧– تحويل بيته إلى متحف، شريطة ان يكون هذا المليونير مديراً له، وقد ضاعت جمجمة غوغول بعد وفاة هذا المليونير. هذا وقد عرض التلفزيون الروسي مقابلة مع حفيد احد الذين حضروا فتح قبر غوغول، واسمه تروفيموف، وقال انه سال جده عن ذلك، إلا ان الجد كان خائفاً، وحاول ان لا يتكلم مدعياً انه لا يتذكر، وقد قال هذا الحفيد ان المخابرات السوفيتية قد استدعت جده، ولكنها ألغت هذا الاستدعاء قبل يوم واحد من تاريخه فقط، وان جده كان يخشى التحدث عن ذلك، وقد اختتم الحفيد كلامه قائلاً ان المخابرات السوفيتية قررت غلق هذا الموضوع. هذا وقد صرح أحد الأساقفة فيما بعد، ان غوغول ما زال مدفوناً في مكانه القديم، إذ ان هذا التابوت قد غاص في الأرض لدرجة ان الذين فتحوه لم يجدوه واقعياً وإنهم قد وجدوا بقايا لا علاقة لها بجثمان غوغول، ودفنوها في قبره الجديد بمقبرة العظماء. لقد أوصى غوغول ألا يضعوا تمثالاً عند قبره، إلا أنهم وضعوا هذا التمثال عند قبره في مقبرة العظماء وكتبوا عليه أنه (من الحكومة السوفيتية) ويشير البعض ان وصية غوغول قد تم تنفيذها فعلاً، إذ ان الذي يرقد هناك ليس غوغول، والله أعلم.

ثالثاً:

ستالين وتمثال غوغول في موسكو

تم نصب تمثال لغوغول في موسكو عام ١٩٠٩ لمناسبة الذكرى المئوية الأولى لميلاده، ولكن ستالين لم يعجبه ذلك التمثال، فأمر برفعه ووضع تمثال آخر بدلاً عنه، وقد تم تنفيذ ذلك بالطبع كما هو الحال في كل زمان ومكان يقول حاكم مطلق الصلاحيات وهو يأمر وينهى كما يشاء. وهكذا تم رفع التمثال القديم وجرى وضع تمثال جديد مكانه، وكان غوغول في تمثاله الجديد واقفاً ومبتسماً. لقد أثارت مجموعة من الفنانين الروس الكبار هذا الموضوع بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لميلاد غوغول، وقدموا طلباً إلى رئاسة روسيا الاتحادية يطالبون فيه برفع التمثال الذي تم وضعه زمن ستالين، وإرجاع التمثال القديم الذي تم وضعه عام ١٩٠٩، وأثار هذا الطلب موجة من المناقشات الحادة في أوساط المثقفين الروس، إذ يؤيده كثير من الأسماء الكبيرة مثل النحات الكبير الجورجي الأصل تسيراتيلي، صاحب التماثيل والنصب الكبيرة في موسكو بما فيها نصب بطرس الأكبر في نهر موسكو، وهو كذلك الذي وضع نصب غوغول في روما قبل سنوات، إلا ان هناك مجموعة أخرى من الفنانين لا تؤيد ذلك، وتؤكد ان تمثال غوغول الذي يقف منذ أكثر من نصف قرن اعتاد عليه سكان تلك المدينة، وأصبح جزءاً من كيانها، وان رفعه لن يكن قراراً صائباً، ولم تستجب رئاسة الدولة الروسية لحد الآن إلى ذلك الطلب، ويناقش المثقفون الروس ذلك كل من منطلقه ومفاهيمه. ان هذا النقاش يثبت حيوية غوغول وخلوده في الفكر الروسي، علماً ان التمثال القديم قد تم نقله إلى المقبرة، ثم أعادوه إلى مكان آخر زمن خروشوف، وهو تمثال يجسد شخصية غوغول الغرائبية والحزينة والمتأملة وهو جالس، أما التمثال الثاني فأن غوغول يقف فيه مبتسماً ومتفائلاً، كما أراده ستالين.

■ مدير مركز الدراسات العراقية – الروسية في جامعة فارونش الروسية.

ألى أنور الغساني في رقدته الأخيرة

الحصار بريشة (فيصل لعيبي)

كلنا نعود الى الطين الذي خرجنا منه.
بعد أن فخرتنا الطبيعة في تنّورها اللّهاب.
كلنا ندخل بطن الأم التي جئنا منها.
كلنا كلنا ....
حتي الآلهة السكرى بدماء ضحاياها.
ستجف العروق وتموت البحار ململمةً أشرعتها العالية.
كلنا سيذهب الى السديم البعيد.
هناك حيث لا خطأ تدفع عنه الجزية ولا صواب تُجزى عليه.
كلنا نمر في رحم الأرض الطويل.
لا أحد ينجو لا أحد يعود.
إيه أيها العراقي البعيد، رحلت إذن بدون وداع.
هل سئمت البقاء بعد طول عناء ؟.
نحن مثلك كرهنا هذا البقاء بين هذا الغباء.
كرهنا إنتظارنا الطويل
وبعد المسافة وفقد النصير.
هناك ....
في مرآة العطّار ، ستجلس الكائنات
لترى أشكالها ... أفعالها ... ونواياها !
حيث الصدى الرهيب للصمت والفراغ
لا أحد يجلس أمامهم ويمسك القرطاس!
لا أجنحة ترفرف في الفضاء !
أنت وحدك من يعرف سِرّكْ
أنت وحدك تقرأ أفعالك التي قمت بها والمؤجلة !
.....
تزدحم حروف اللغات التي اتقنتها الآن في جوف الأوراق التي تنتظر ويتهيأ المداد للحركة والريشة للكتابة .
هناك ، في الأرض البعيدة عن كركوك والصحاب والشعر العراقي
سيتوسد رأسك المهموم بالوطن معلقات الحنين
وتنهدات المسافة وسراب الوصول.

فيصل لعيبي
لندن في ٢٠٠٩\٨\١٤

تلويحة المدى

عن المعجم الشعري اليوم

شاكر لعيبي

حرف الجر (عن) يفيد هنا الحومان حول جوانب من مسألة المعجم وليس كلها. وقد يصلح لتقديم الفرضية التالية:

على المستوى اللغوي تغيب عن المعجم الشعري السائد بعض الظواهر، ومنها نون التأنيث، فلا نجد ألا الشاذ النادر من الأبيات الشعرية التي تخاطب النساء بالجمع رغبة باستبعاد هذه النون المشدّدة "انتنَّ، شفاههنّ، أحبهنُّ". ومنها أيضاً غياب واضح للمثنى، ما قد نُفهم منه، خطأ، تطوراً محموداً في لغة العرب طالما تمناه البعض. كما تغيب بعض الأفعال الرئيسية التي قد تكون ضرورية في صياغة المعنى. خذ مثلا الفعل (شَرِقَ: بالماء)، ومنها بعض أعضاء الجسد والكثير من الزهور البرية وغيرها وأفعل الطيران (كالحومان: للطيور وغيرها) ودرجات الألوان التي يقدم لها القاموس العربي الكلاسيكي مادة ثرية. والكثير من الأفعال المعبِّرة عن صفات جوهرية في الفعل الإنساني والحركات الجسدية والإشارية، كل ذلك يتمّ لصالح لغة يومية (تسمى اللحظة شفاهية) مزعومة، مناهضة للبلاغة كما يقال ومصابة بالفقر في أحسن الحالات. كل ذلك من شأنه أن يبتسر المعجم إلى بضع مفردات وأفعال مكرّرة، مختزلة، أقرب كمياً لمفردات العامية التي عندما لا تستطيع تغطية الطبيعة المخصوصة لفعل من الأفعال البشرية فإنها تلجأ إلى السهل، حيث لا تفرّق مثلاً بين (نظر) و(شاهد) و(رأى) وبين (سمع وأصغى) وبين (راقب وشاهد) وتستخدمها كلها بمعنى متماثل واحد.

ثمة الآلاف من الشواهد النصية المبثوثة في المجاميع الشعرية المطبوعة اليوم. وفي جلها ينطلق المؤلفون من (رفض) البلاغة واعتبارها تركة من الماضي الثقيل، وتبعة كلاسيكية، لأنهم يمتلكون تصوراً مشوشاً عنها أو يرغبون لسبب ما بتحويل وجهة المشكلة نحو أماكن مراوغة بلبوس الحداثة. لو كنا من نقاد الشعر، وهو ليس حالنا، لأحصينا المفردات المكررة في مئة مجموعة شعرية مثلاً، ولرأينا أن معجمها كلها سيكون محصوراً بمفردات بعينها، وأنها تتجنب غالباً المثنى ونون التأنيث وتخلط بشأن أفعال "وجودية" أساسية باسم الحرية الجوهرية للخلق الشعري المستخدمة بطريقة تثير التساؤلات.

في مقام قصيدة النثر المحلية يصير ما يسمى (بلاغة الشفاهي) مفهوماً ملتبساً يسعى لإلقام القراء حجراً. إذا كان المقصود بذلك تقريب لغة الشعر من لغة الحكي العادي اليومي فإننا أمام فرضية في غاية الصعوبة، مصاغة بطريقة ثقافوية. وإذا كان غير ذلك فإن أهم النصوص الشعرية العامية، الشفاهية التي يقولها أسلافنا في الجنوب العراقي والريف الشامي تستدعي في الحقيقة معجماً ثريا، عريقا بدوره، مماتا أحيانا، قد لا يتهيأ للجميع فهمه دون التوغل في أحراش اللغة العربية واستطراداتها واشتقاقاتها العامية. لا نظن أن عامية شاعرة شفاهية مثل فدعة كانت تغترف فحسب من اليومي السائد في زمانها، ونظن أننا لن نفهم الكثير منها ولن ندرك معاني المفردات الشفاهية لأبوذيات الجنوب العراقي. هاكم هذه العبارة:

"عينوج فشك مستحة"

بعض المفردات هنا من الممات تقريباً في العامية نفسها لكنها مستخدمة لضرورات تعبيرية، شعرية. وحتى لو أننا فهمنا المفردات بسبب طول تآلفنا معها كأن نصف في العامية العراقية جميل الملامح بـ (حلو المعاني)، فإن مفردة المعاني تظل والحالة هذه مشبعة، بشكل مذهل، بروح لا علاقة للمفردة ظاهريا بها، كأن العراقي يعتقد أن الملامح الإنسانية تنطوي على معنى دال عميق ما. وهو ما قد يفوت علينا للوهلة الأولى.

للشفاهي قواعد أيضا، منها استدعاء الممات والنادر والغريب والفريد لأنه قادر على التعبير عن ظلال الحالة النفسية أو خصوصية المشهد الموصوف. لا يتسع المجال هنا للأمثلة وتستحق درسا مطولاً لا تفوت دلالاته على القارئ. لكن لنقل عرضاً أن أي محاولة لنقل الشعر العربي العامي الشفاهي إلى العربية الفصحى مثلاً ستصطدم بمشكلة المعجم العامي الثري المحتشد بالغريب، وببلاغة عالية خاصة به.

على المستوى العالمي، الأجنبي، يمكن للعارف بالفرنسية أن يعاود قراءة افتتاحيات جريدة اللوموند الفرنسية ليرى أنها، وهي ليست نصا شعرياً، تغترف من معجم ومترادفات وبلاغة رفيعة لا علاقة لها بالبلاغة الشفاهية الفرنسية إلا في حالات الضرورة التعبيرية والطرفوية، بينما يغترف كبار شعراء الفرنسية الأحياء من معجم معقد، ومن أصول البلاغة والمجاز الفرنسي العريق، الملعوب بها على أيديهم بطريقة شخصية.

وفي الحقيقة لا يستوي منطقياً الجمع بين رفض البلاغة بالمطلق كما تعودنا أن نقرأ كل يوم، والنزعة الشفاهية. إذا كان المقصود بهذه (البلاغة الشفاهية) مفهوم البساطة والسردية، فإننا في حقل مختلف تماماً حيث لا نجد تعارضا البتة بين بساطة ما في شعر نزار قباني أو محمد الماغوط عربياً، وجاك بريفير فرنسياً، وبين السيطرة على البلاغة: الأداة الأولى بيد الشاعر لنحت فضائه. بساطة الشاعرين المذكورين مخادعة. من جهة أخرى فإن مفهوم السردية لا يتضمن مفهوم الحكي اليومي بالضرورة. إن أعظم الأعمال الروائية– ولنبق في أمريكا اللاتينية– التي يطالعها المرء تدهشه بطاقاتها الاستعارية والتخيلية وخصب معجمها وتغطيته لرقعة جد واسعة من الحقول: من مفردات المطبخ ومكوناته إلى المعجمين البيولوجي والنفسي، إلى العالم البري والحيواني وسوى ذلك.

هل تتضمن هذه الكلمة التباساً جذرياً منذ بدايتها: إننا غير متفقين على تعريف مفردة البلاغة نفسها. سنحاول إذن في مناسبة أخرى قول كلمة عن هذه البلاغة التي يشحنها البعض، الآن، بكل قبيح، معاد للجدة، عن باطل في الغالب الأعم.